رؤية حول الابداع... معوقاته ومستلزماته

أ.م . د. رفعت عبدالله جاسم

قسم العلوم التربوية والنفسية/كلية التربية بنات/ جامعة البصـــرة

Rifaat.jasseem@uobasrah.edu.iq

كلمات مفتاحية: الإبداع، المؤسسات الإجتماعية، أساليب وطرق التعليم، الأنشطة اللاصفية، أخلاقيات مهنة التدريس.

مستخلص

أجرى باحث معروف في مجال الابداع هو جورج لاند George Land وزميلته بث جيرمن Beth Jarman عام ١٩٦٨ دراسة تتبعية طولية على ١٦٠٠ طفل تراوحت أعمارهم بين ٣-٥ سنوات. وأُعيدت هذه الدراسة على نفس عينة الأطفال عندما بلغوا ١٠ سنوات من العمر، وأُعيدت نفس الدراسة وعلى نفس العينة عندما بلغ الأطفال الخامسة عشرة من العمر. فخرجت الدراسة بنتائج ملفتة جداً. أظهرت الدراسة ان نسبة الابداع لدى الأطفال في عمر ٥ سنوات تبلغ ٩٨%، ولدى نفس الأطفال في عمر ١٠ سنوات أنخفضت الى ٣٠%، أما عندما بلغ هؤلاء الأطفال ١٥ سنة من العمر فقد أنخفض لديهم الأبداع ليصل الى ١٢%. سوف تقفز الى الذهن بعد الاطلاع على هذه النتائج تساؤلات عدة سوف تجري المحاولة في هذه الورقة الى على بعض منها من خلال إفتراض مجموعة من البُنى والعوامل التي يمكن أن تُعيق أو تُسهل الأبداع لدى الطلبة.الاجابة

A vision about creativity ... its obstacles and requirements

Dr. Rifaat Abdullah Jasseem

Department of Educational and Psychological Sciences / College of Education for Women

Basra University

Abstract

In 1968، a well-known creativity researcher، George Land and his colleague Beth Jarman conducted a longitudinal study on sample of 1،600 children there age ranging between 3-5 years.

The same research conducted again when the same sample aged 10 years; and conducted again when the sample aged 15 years. Therefore، the study came out with striking results. The study showed that the creativity rate among children at the age of 5 years is 98%، and among the same children at the age of 10 years، it decreased to 30%، but when these children reached 15 years of age، their creativity decreased to reach 12%!

Several questions will jump to mind after seeing these results، in this paper، an attempt will be made to answer some of these questions by assuming a set of structures and factors that can impede or facilitate creativity in students.

Key words: creativity، social institutions، teaching methods، extra-curricular activities، teaching ethics.

مقدمـــــــــة

أجرى جورج لاند George Land وزميلته بث جيرمن Beth Jarman في عام ١٩٦٨، دراسة بحثية لاختبار إبداع ١٦٠٠ طفل تتراوح أعمارهم بين ثلاث وخمس سنوات من الذين التحقوا ببرنامج "البداية". كان هذا هو نفس اختبار (الإبداع) الذي ابتكره نفس الباحث لوكالة أبحاث الفضاء الأمريكية ناسا (NASA) للمساعدة في اختيار المهندسين والعلماء الابتكاريين. أعاد اختبار نفس الأطفال في عمر ١٠ سنوات، ومرة أخرى في عمر ١٥ عامًا. وكانت النتائج مذهلة.

نتائج إختبار الإبداع لعينة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين٣- ٥ سنوات: ٩٨ ٪

نتائج الاختبار لدى نفس عينة الأطفال بعد مرور ٥ سنوات، أي، بعمر ٨-١٠ سنوات كانت: ٣٠ ٪

نتائج نفس الاختبار لنفس عينة الأطفال بعد ١٠ سنوات،أي، في عمر ١٣-١٥ سنة كانت: ١٢% أُعطي نفس الاختبار الى عينة من البالغين تبلغ ٢٨٠،٠٠٠ شخص كانت نتائجهم: ٢٪ فقط!

وعلق الباحث (لاند) على نتائج أبحاثه بالقول "أنه يتم تعلم السلوك غير الإبداعي" (Land، Jarman & 1993،).

كيف يمكن تفسير نتائج الدراسة أعلاه؟ بالإمكان تقديم إفتراضات ومحاولات عديدة في محاولة الإجابة عن السؤال السابق. سوف تجري المحاولة في هذه الورقة لتناول هذه القضية، قضية العلاقة بين الإبداع والمؤسسات الإجتماعية والتعليمية باعتبار ان المؤسسات التربوية التعليمية هي احدى المؤسسات المكونة لاي مجتمع، ولاشك فانها تعتبر من اهم المؤسسات. فهي المسؤولة عن الاعداد التربوي والنفسي والعلمي والبدني لقادة المستقبل في أي بلد؛ عن طريق الاهتمام بالنمو النفسي، والاجتماعي، والعقلي، والبدني للطالب عبر مراحل نموه المختلفة إبتداءا من مرحلة الطفولة المبكرة وحتى نهاية المراهقة وبداية البلوغ.

لذا سوف نطرح السؤال الآتي: ماهو تقييمنا لواقع مؤسساتنا التعليمية ؟؟ والى أي مدى تستطيع هذه المؤسسات من تحقيق هدفها النهائي المنشود وهو إعداد قادة المستقبل؟؟

حتى يكون بامكاننا الاجابة على هذا السؤال المزدوج؛ نجد أنفسنا مضطرين لتحديد أربعة مداخل قد تبدوا لاول وهلة متباعدة بعض الشئ – والحقيقة غير هذا تماما- حتى يكون بالامكان تمهيد الطريق للاجابة على السؤال المطروح آنفاً.

١- المدرسة، والعائلة، والدولة

قد يستغرب البعض طرح القضية التربوية التعليمية بعلاقتها بمؤسسات اجتماعية آخرى لاتقل أهمية بحال وهي العائلة، والدولة. والحقيقة ان هذه المؤسسات الثلاث ترتبط احداها بالاخرى ارتباطا جوهريا صميميا لاينفصم. فطبيعة العلاقة السائدة بين المعلم وتلاميذه، والوالدين والابناء، والدولة والشعب مترابطة ومتفاعلة تماما.

ان اسلوب التربية والتعليم السائد في المؤسسات التربوية التعليمية هو ليس نسقا أو نشاطا محصورا داخل جدران المدرسة أو الكلية أو المعهد، ومستقلا عن حركة الحياة خارج هذه الجدران. بل على العكس من ذلك، فاساليب التربية والتعليم في أي مؤسسة تعليمية عبارة عن إنعكاس لواقع الحال في كل مؤسسات المجتمع. فبالامكان ان نحكم على طبيعة العلاقات السائدة في أي مجتمع من خلال مراقبة طبيعة العلاقات السائدة بين المعلم والطالب، واسلوب التدريس، داخل غرفة الصف. فالمدرسة إنعكاس ومرآة للمجتمع ككل. وباعتبار هذا الكلام فبالامكان القول: اذا كانت الاساليب التربوية والتعليمية في المؤسسات التعليمة قائمة على مراعاة حاجات الطالب النفسية والبدنية والعقلية، فاننا نستطيع ان نجزم ان هذا المجتمع يتمتع بجو عائلي صحي، ونظام حكم ديمقراطي أساسه احترام وتقدير مراكز السلطة وصنع القرار لمواطنيها

وشعبها. وبنفس المنطق نستطيع ان نقول: اذا كانت الاساليب التربوية والتعليمية السائدة في المؤسسات التربوية والتعليمية قائمة على ديكتاتورية المعلم، وأسلوب الحفظ والتلقين، وعدم مراعاة حاجات الطالب النفسية والبدنية والعقلية فاننا نستطيع القول ان العلاقات الاسرية السائدة في هكذا مجتمع قائمة على مبدأ ديكتاتورية الوالدين وعدم اهتمامهم بشكل جدي بالبناء السليم لاطفالهم، وديكتاتورية السلطة أو الدولة وعدم احترام مراكز السلطة وصنع القرار لمواطنيها وشعبها.

قد يعترض البعض ويقول: الا تجد ان في ربط العلاقة بين الدولة والعائلة والمدرسة شئ من المبالغة؟ للاجابة على هذا التساؤل الوجيه سنلفت نظر المعترضين الى حقيقة لااختلاف عليها؛ وهي ان جوهر الديكتاتورية يستند على مبدأ أساسي الا وهو الخوف. ويستطيع الجميع ان يلاحظوا هذه الحقيقة بوضوح؛ كوضوح الشمس في رابعة النهار. فالحاكم عندما يخشى على منصبه من الزوال لن يجد اسرع وأمضى من سيف الديكتاتورية ليسلطه على رقاب التابعين له، وبنفس المنطق فان سلاح الخوف؛ سلاح ماض يزرعه الآباء في نفوس ابناءهم لفرض السيطرة عليهم؛ كذلك المعلم اذا اراد ان يفرض سلطته وسطوته على تلاميذه فلابديل عن الديكتاتورية سلاحا ووسيلة. يمكن للبعض ان يوافق على دوافع الحاكم حتى يكون ديكتاتورا، ويتفق مع المعلم فرض شئ من الديكتاتورية في تعامله مع طلبته حتى لايفقد السيطرة على صفه، وربما نستطيع ان نتقبل ان بعض الآباء يتميزون بالديكتاتورية في تعاملهم مع ابناءهم، ولكن هل نستطيع ان نصدق ان معظم الآباء هم هكذا؟ وخصوصا ان الآباء يرتبطون بدافع الحب مع أبناءهم!! الحقيقة اننا لو سألنا اي حاكم ديكتاتور، هل تحب شعبك؟ سوف يجيب وبلا تردد: نعم ! واذا سألنا أي معلم، هل تحب طلبتك؟ سوف يجيب: نعم ! ولسنا بحاجة الى القول ان الآباء كذلك. السؤال هنا: لماذا يتعامل المُحِبْ مع محبوبه بتسلط وتعسف أحيانا؟ اليس هذا منافيا للحب؟ العقلاء سوف يجيبون: نعم. ولكن كل الديكتاتوريات الاخرى في هذا العالم من حكام، وآباء، ومعلمين سيقولون: إنما نحن يدفعنا الخوف على مصلحة من نُحِب وليس الكره لهم!! فالحاكم الديكتاتور سيقول: انما اريد ان ادافع عن مصلحة شعبي ضد مطامع الاجنبي، ناهيك عن ان شعبي لايستطيع ان يعرف حقيقة مصلحته. وبهذا المنطق تحديدا دمر هتلر المانيا والعالم، ودمر بونابرت اوربا!! وبنفس هذا المنطق يفرض الآباء ديكتاتوريتهم على ابناءهم بفرض زيجات معينة عليهم، أو اختيار كليات معينة للدراسة، أو اتخاذ مهن محددة ليمتهنوها في مستقبل حياتهم. وبنفس هذا المنطق، يفرض المعلم الديكتاتور مواده الدراسية على طلبته ويلزمهم بوجوب حفظها حفظا أصما بالحرف والنقطة، وبعدم النقاش بما قد يُحّرِجْ المعلم تحت تبرير ان هكذا نقاش سيأخذنا بعيدا عن الدرس!!

القضية المهمة هنا؛ هي: هل هناك علاقة بين هذه الديكتاتوريات الثلاث؟ الجواب وبلا تردد: نعم. فالمعلم الديكتاتور قد تربى ونشأ في ظل والدين ديكتاتوريين، والحاكم الديكتاتور كذلك. اذن، هذه الديكتاتوريات الثلاث مترابطة متفاعلة تؤثر أحداها على الاخرى، وتلقي أحداها بظلالها على الاخرى، ولايمكن الفصل بينها واقعا أو تنظيرا. فالكل هو نتاج اسرته ومجتمعه. وعندما يكون الامر كذلك فاننا نكون أمام أخطر ثلاث أشكال من الديكتاتورية بامكانها أن تقتل أي شعب وهي: ديكتاتورية المعلم، وديكتاتورية الوالدين، وديكتاتورية السلطة.

وعندما تسود هذه الديكتاتوريات الثلاث في أي مجتمع يصبح الشعار الذي سيرفعه هذا المجتمع هو: " لاتفكر، لاتبدع، ولاتناقش .. أستمع واحفظ جيدا، ونفذ ما يُطلب منك، والا فانك سوف ترسب، أو تُنبَذ، أو تُصادر حريتك أو حياتك!!" وهذا هو واقع الحال فيما نتعارف على تسميته بالدول النامية!!

وهكذا تفرض العائلة، والمدرسة، والسلطة علينا ان نقيم روابط بين:

العجز والانصياع والسلبية - والادب والاحترام والالتزام.....(١)

في مقابل:

الرغبة في الاستقلال والاعتماد على الذات والإبتكار – وقلة الضبط والتمرد والعصيان.....(٢)

وعلينا أن نختار بين (١) أو (٢) ونعلم تماما ماهي المترتبات الكارثية التي ستقع علينا في حال أختيارنا (٢)!!

لقد تناول الكثير من المختصين هذه الحقيقة باستفاضة وربما يعتبر المربي البرازيلي "باولو فرايري" من أعظم من كتب في هذا الموضوع، ويعتبر كتابه المعنون " تعليم المقهورين" من اشهر المؤلفات في هذا المجال. لقد انتبه هذا التربوي الكبير الى هذه الحقائق حيث ربط بين ثورة الانسان على نفسه، والثورة على واقعه المرير (فرايري، ١٩٨٠).

٢- التعليم المتمركزة حول المعلم مقابل Teacher - centered learning Vs

التعليم المتمركزة حول الطالب Student-centered learning

يمكن اعتبار اسلوب التعليم المستند على فلسفة الحفظ والتلقين من أبرز خصائص الاسلوب الذي يُطلق عليه المختصون باسلوب التعليم المتمركز حول المعلم. هذا الاسلوب جوهره ديكتاتورية يمارسها المعلم بقصد أو من غير قصد مع تلاميذه. ففي اسلوب التعليم هذا يكون المعلم هو المصدر الاول والوحيد للعلم والمعرفة والضبط والربط، اما التلميذ فهو هنا عبارة عن كائن جامد سلبي لاحول ولاقوة له غير الجلوس وبهدوء لتلقي المعرفة من المعلم (Beck،2009).

ويطرح المفكر فرايري وبطريقة جميلة هذه الإشكالية من خلال نقده لما أسماه باسلوب (التعليم البنكي أو المصرفي) القائم على الحفظ والتلقين؛ وهو الاسلوب السائد في مؤسساتنا التربوية التعليمية، حيث يجعل المعلمون من عقول الطلبة مصارف يودعون فيها الغث والسمين من وادئعهم المعرفية، مما يقود الى إستلاب ومسخ فردية المتعلم وحريته الفكرية وتجعل منه مجرد مستودع سلبي متحرك لمعلومات الآخرين (فرايري، ١٩٨٠). وبالامكان ان نوجه نقدا لمنهج التعليم المستند على الحفظ والتلقين وكما يأتي:

أ. ان اسلوب التعليم التقليدي الذي يعتمد على الحفظ والاستظهار يختزل عقل الانسان الى جهاز ذاكرة فقط، أي اختزان المعلومات Retention، واسترجاعها Recall. بينما المعروف ان الذاكرة هي احدى مكونات العقل ولكنها ليست بديلا للعقل. لذلك فان اختزال العقل الى ذاكرة فقط يعني تعطيل قدرات العقل الاخرى وعلى الاخص مهارات التفكير والعمليات العقلية العليا من التحليل، والاستنتاج، والاستنباط، والنقد، وحل المشكلات، ناهيك عن الابداع، واساليب التفكير فوق المعرفية Metacognition. لذلك يمكن القول ان اسلوب التعليم لدينا ابتداءا من مرحلة الدراسة الابتدائية وحتى المرحلة الجامعية يركز على تنمية الذاكرة وقتل العقل.
ب. ان المعلومات التي نحشو بها عقول التلاميذ موجودة في الكتب أو الانترنت وخصوصا اننا نعيش في عصر الانترنت؛ ويستطيع التلميذ أو أي انسان آخر الوصول الى أي معلومة بيسر وسهولة نسبية، لذا فان حشو وإثقال عقل التلميذ بمعلومات يستطيع الحصول عليها من مصادر متوفرة حيثما شاء واينما شاء، هي عملية لاطائل من ورائها. فهي مضيعة للوقت والجهد، ناهيك عن انها سوف تعطل قدرة وحاجة التلميذ على ممارسة التفكير المبدع أو التحليلي أو الناقد، وتثقل عقله بالمعلومات فقط.

واذا اردنا أن نكون منصفين مع انفسنا ومع الاخرين، وفوق كل هذا وذاك، منصفين امام الله، فعلينا ان نسأل أنفسنا كمعلمين: هل نحن متأكدون تماما اننا لانستمتع في أعماقنا ونحن نمارس السيطرة على طلبتنا، ونحن نستخدم طريقة التلقين

في تعليمهم؟ عندما نقف امام عدد من الطلبة كلهم ينظرون الينا وينتظرون منا ان نَمُنَّ عليهم بشئ مما لدينا من المعلومات-التي مَنَّ الله جل وعلا بها علينا- وبما يمكنهم من النجاح في نهاية العام الدراسي؟. هل نحن واثقون تماما اننا لانستمتع ولو بطريقة لاشعورية بممارسة السيطرة، او الديكتاتورية على طلبتنا، من خلال طرائق التدريس المستندة على التلقين والحفظ والاسترجاع؟ اذا لم نكن جميعنا هكذا، فعلى الاقل نسبة ليست بالقليلة منا.

٣- الأنشطة اللاصفية EXTRACURRICULAR

لايمكن للعملية التربوية ان تأخذ كامل مداها في حال أقتصرت على غرفة الصف فقط، بل لابد ان تتعداها الى أنشطة وفعاليات وامور اخرى مختلفة يمكن ممارستها خارج غرفة الصف. وهذه الانشطة اللاصفية هي مهمة من أجل بناء متكامل للطالب على الصعيد العقلي، والشخصي، والاجتماعي، والانفعالي. ناهيك عن ان هذه الانشطة تزيد من دافعية التعلم لدى المتعلم نحو التعلم والتحصيل، ولإضفاء المتعة على عملية التعلم، وخلق جو من التنافس بين المتعلمين، لإطلاق ابداعاتهم في شتى المجالات. لذا فان القائمين على العملية التربوية التعليمية ان هذه الحقائق في أذهانهم من اجل دفع طلبتها نحو الابداع والتعلم النشط من خلال انشطة تخدم العملية التعليمية من جهة، وتطلق العنان للطلبة في التحليق نحو الابداع واشباع رغباتهم وميولهم المختلفة، وتنمية الجانب الشخصي والاجتماعي بما يمكن ان يحقق للطالب أفضل الظروف لنمو سليم على كافة الاصعدة. فالانشطة اللاصفية من اجمل واقوى النشاطات التي تعطي للطلبة فوائد عديدة حيث تنمي لديهم مهارات ترفع من كفاءتهم وتحببهم بمؤسساتهم التعليمية. وتبعد عنهم الملل والرتابة اللذان يتولدان بسبب الدروس التي تعتمد غالبا على التلقين والحفظ.

اجريت في عام ٢٠٠١ دراسة مسحية لاكثر من ٥٠٠٠٠ طالبا وطالبة في ولاية مينيسوتا الامريكية ونشرت الدراسة عام ٢٠٠٣ في مجلة الصحة المدرسية Journal of School Health حيث وجد الباحثون ان الطلبة الذين يشاركون في الانشطة اللاصفية يمتلكون درجات عالية في مجال المهارات الاجتماعية، والاتزان الانفعالي، والسلوك الصحي مقارنة مع اولئك الذين لم تكن لديهم مشاركات لاصفية. وقد قسم الباحثون في هذه الدراسة الطلبة الى اربعة مجاميع استنادا على مشاركتهم في الانشطة الرياضية والانشطة الاخرى، من مثل المنتديات، والاعمال التطوعية، والموسيقى.

من جملة النتائج التي اظهرتها الدراسة ان الطلبة الذين لديهم نشاطات لاصفية يمتلكون صورة إيجابية وصحية عن الذات healthy self-image، ولايعانون من مشاكل انفعالية عنيفة emotional distress، ولايملكون سلوكا انتحاريا suicidal behavior، ولايتعاطون المخدرات، وسلوكهم الجنسي سوي غير شاذ (Harrison & Narayan)،2003.

٤- أخلاقيات مهنة التدريس

كان الاعتقاد – ولايزال لدى البعض – ان عملية التعليم عبارة عن مجرد نقل للمعرفة من المعلم الى المتعلم. والحقيقة انها تتضمن الى جانب ذلك، نقل وتبادل خبرات نفسية واجتماعية واخلاقية من خلال عملية التفاعل المباشر وجها لوجه بين المعلم والمتعلم. فالمعلم بهذا الشكل لايكون مجرد ناقل للعلم فقط؛ ولكنه ايضا قدوة يُقتدي بها. فالطالب ينظر الى المعلم كما ينظر الطفل الى ابيه. وهذه الحقيقة لاتنطبق على مرحلة عمرية دون اخرى أو على جنس دون آخر على الرغم من وجود بعض التباينات المتعلقة بهذه المتغيرات فبعض الدراسات وعلى سبيل المثال، تشير الى ان الاطفال والمراهقين هم اكثر تاثرا بالجوانب الشخصية المختلفة للمعلم بالمقارنة مع الكبار، وان الاناث اكثر تاثرا من الذكور. ولكن هذه النتائج لاتعني ان طلبة الجامعة على سبيل المثال لايتأثرون بالجوانب الشخصية لاساتذتهم بل انهم يتاثرون ايضا. وتشير الدراسات في مجال علم النفس الاجتماعي الى ان المحددات والضوابط الاخلاقية والانفعالية والسلوكية من ميول واتجاهات نفسية وقيم اخلاقية وانماط سلوكية مختلفة تنتقل من المعلم الى المتعلم بطريقة مباشرة مقصودة، أي ان المتعلم يقتبس وبشكل واع هذه المحددات والضوابط والانماط من المعلم ويجعلها جزءا من بناؤه الشخصي – القيمي والسلوكي – وفي احيان آخرى تنتقل هذه البنى النفسية من المعلم الى المتعلم بطريقة غير مقصودة، بمعنى ان المتعلم يستدخلها في بناؤه الشخصي بطريقة لاشعورية. اكثر من هذا، فان الدراسات في مجال الاتصال غير اللفظي Non-verbal communication تؤكد ان التوقعات expectations تنتقل بطريقة غير لفظية من خلال عملية التفاعل الإجتماعي (Fazio et al. 1981). وبالتالي، من الطبيعي ان تنتقل التوقعات التي يحملها المعلم بشأن المستوى التحصيلي لطلبته الى الطالب حتى وان لم يتلفظ بها أو يقولها. وفي النهاية يكون تحصيل الطالب قريبا من توقع المعلم. كذلك بينت الدراسات المتعلقة بموضوع (المَوَدَة) Liking ان مشاعر الود والكره يمكن ان تنتقل بين الناس بطريقة غير لفظية تماما (Ray & Floyd،2006)، أي ان زيد يشعر بمشاعر عَمّرْ تجاهه سلبا أو ايجابا حتى لو لم يعبر عَمّرْ عن ذلك صراحة والعكس أيضا صحيح. بهذا الشكل يتحول المعلم من

مجرد واسطة لنقل المعلومات والمعارف الاكاديمية الى مربٍ وأب وقدوة. وهذه الحقيقة تضيف على كاهل المعلم واستاذ الجامعة اعباء اضافية عليه تحملها لكي يؤدي الامانة الملقاة على عاتقه كما يجب. هذه الحقائق العلمية التي تؤكد على خطورة وأهمية دور المعلم تؤيدها كذلك نصوص دينية وأدبية تؤكد كلها على أهمية دور المعلم وحساسية عمله كناقل للمعرفة وكمربي للاجيال. في ضوء كل ماسبق يصبح من الواجب والضروري ان يكون المعلم في مستوى من التمكن العلمي والاخلاقي يؤهله لاداء هذا الدور الخطير والحيوي. بمعنى آخر اذا كان لابد ان يكون المعلم متمكنا من ادواته العلمية فلابد ايضا وبقدر مماثل ان يكون ممتلكا لاساس اخلاقي وسلوكي قوي وراسخ يؤهله ان يكون قدوة يقتدي بها الطلبة.

٥- الاستنتاج

باعتبار النقاط سالفة الذكر المتعلقة باساليب التدريس السائدة لدينا القائمة على الحفظ والتلقين وديكتاتورية المعلم، وعدم وجود أي أهتمام حقيقي بالانشطة اللاصفية، والاعداد الهزيل للمعلم، تتحول العملية التربوية التعليمية التقليدية لدينا الى عملية أضطهاد مزدوجة: فهي تقتل ثقة الطالب بنفسه، ناهيك عن انها تقتل عقله وقدرته على التفكير الحر. لذا فمن الافضل ان تتحول تسمية مؤسساتنا التعليمية -نحن على وجه الخصوص- الى مؤسسة السجون والاضطهاد التعليمية. ونستطيع بالتالي الاجابة عن السؤال المزدوج الذي طرحناه في المقدمة فنقول: ان مؤسساتنا التربوية التعليمية غير مؤهلة وغير قادرة على انتاج وصنع قادة مستقبل يعول ويعتمد عليهم بوضعها وصفتها الحالية.

رب سائل: هل ان هذه الممارسات التربوية مقصودة بقصد قتل العقل لدى الشعوب وقتل ثقتها بنفسها وبقدراتها على المساهمة في صنع الحياة؟؟ ام ان القضية غير مقصودة؟؟ إن أجبنا بان هذه العملية مقصودة فربما سيتهمنا البعض باننا من ضحايا نظرية المؤامرة!! وان أجبنا بلا فسوف نكون مصداقا للمقولة الشهيرة " ان كنت تعلم فتلك مصيبةٌ، وان كنت لاتعلم فالمصيبةُ أعظمُ."

اذا أردنا أن نغير من حالنا فالقضية تحتاج الى جهد مجتمعي تنصب المحاولة فيه على وجوب تغيير نوع العلاقة من الديكتاتورية الى الديمقراطية، داخل الاسرة، وداخل المؤسسة التعليمية، وداخل النظام الحاكم، بحيث تُلغى ديكتاتورية الوالدين، والمعلم، والسلطة. والا فاننا سنظل نتسائل والى ماشاء الله " الى متى سوف يبقى البعيرُ على التلِ!! "

اذا لم يشعر الانسان ابتداءا من مراحل حياته الاولى بانه كائن محبوب، ومرغوب فيه، ومحترم في وجوده، ومحترم في رغباته، ومحترم في رأيه، فأن الاسرة لن تستطيع ان تقدم الى المجتمع كائنا سليما معافى في عقله ونفسه، قادرا على التحرك بشكل فاعل في مستقبل الحياة. وبنفس الشكل، اذا لم تحترم المؤسسة التعليمة الطالب وتُشبع حاجته للنمو النفسي والبدني والفكري السليم فأن هذه المؤسسة لن تقدم لنا مستقبلا الا كائنا يحمل الكثير من ملامح العوق النفسي والبدني والعقلي. وبنفس المنطق، فأن الدولة التي تتعامل مع مواطنيها بطريقة ديكتاتورية فأنها لن تنجب الا شعبا عاجزا وغير قادرا على المساهمة الفاعلة في بناء الحياة.

على هذا الاساس فان مضار النظام التربوي التعليمي السائد لدينا تتجاوز آثارها الخطيرة عقل الطالب الى عموم شخصيته. عندما يصبح المعلم مصدر المعرفة الوحيد فان الطالب لن يتعود على عدم تحريك واستعمال عقله فقط، بل ان هذا الامر سوف ينسحب على عموم تركيبته الشخصية ونظرته للحياة. واذا لم يشعر الطالب وابتداءا من مراحل التعليم الاولى بانه كائن له قيمة، ومحترم ويمتلك عقل قادر على التفكير، وان التفكير حق مشروع وحريته مكفولة، فان هذا التلميذ سوف يكبر ويصبح رجلا وفي داخله احساس مر بالافتقار للثقة بالنفس، وبالعوق الفكري وفقدان الحرية في التعبير والتفكير. وبالتالي سوف يصبح الخطر الاكبر الماثل امامنا هو اننا سوف نبني جيلا من الشباب غير قادر على التفكير، بل واكثر من هذا، يخشى التفكير، وهنا تكمن الطامة الكبرى!!.

المقترحات

١. إعادة النظر في أساليب التربية والتعليم السائدة لدينا بالاتجاه نحو الاساليب الحديثة المتمركزة حول الطالب وليس المعلم.
٢. بث الروح للانشطة اللاصفية واعطاؤها أهمية قصوى لاتقل باي حال عن أهمية المنهج والكتاب واسلوب التدريس، والتعامل معها بجدية والنظر اليها باعتبارها مطلبا مهما لبناء عقل وشخصية الطالب.
٣. الاهتمام الجاد باعداد المعلم في الجانبين العقلي والشخصي لاعداد معلمين كفوءيين قادرين على القيام بمهنة التدريس على أفضل وجه.

المصـــــــــــــادر

• فرايري، باولو، ١٩٨٠، تعليم المقهورين، ترجمة: د. يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت-لبنان

• Beck، Robert H. (2009). The Three R's Plus: What Today's Schools are Trying to Do and Why. U of Minnesota Press. ISBN 978-0-8166-6017-9.

• Fazio RH، Effrein EA، Falender V. 1981. Self-perceptions following social interaction. *J. Personal. Soc. Psychol.* 41:232–42.

• Harrison، P. A.، & Narayan، G. (2003). Differences in behavior، psychological factors، and environmental factors associated with participation in school sports and other activities in adolescence. The Journal of school health، 73(3)، 113–120. https://doi.org/10.1111/j.1746-1561.2003.tb03585.x.

• Land G.، Jarman B.، Breaking Point and Beyond. San Francisco: Harper Business، 1993.

• Ray، G. B.، & Floyd، K. (2006). Nonverbal expressions of liking and disliking in initial interaction: Encoding and decoding perspectives. Southern Communication Journal، 71(1)، 45–65. https://doi.org/10.1080/10417940500503506.